سورية الشهيدة

الأهلُ أهلي ، والديارُ دياري
وشِعار «وادي النَّيْرَبَين» شعاري

ما كان من ألمٍ بجِلّقَ نازلٍ
واري الزناد ، فزَنده بيَ واري

إن الدمَ المهراقَ في جنَبَاتها
لدَمي ، وإن شِفارَها لَشِفاري

دمعي لما مُنيتْ به جارٍ هنا
ودمي هناك على ثَراها جاري

***

ياوامضَ البرق اطْمئنَّ وناجني
ان كنتَ مطلعاً على الاسرار

ماذا هناك ؟ فان صوتا راعني
والصوتُ فيه جَفوةُ الاذعارِ
النارُ محدقةٌ بجلّقَ بعد ما
تركتْ « حَماةَ » على شفيرٍ هار
تنسابُ في الاحياء مسرعةَ الُخطى
تأتي على الأطمار والأعمار
والقومُ منغمسون في حمآتها
فتكاً بكل مُبَرَّإٍ صَبَّار
الطفلُ في يدِ أمه غَرَض الأذى
يُرمَى ، وليس بخائض اغمار
والشيخ متكئا على عُكازه
يُرمَى ، وما للشيخ من أوزار

صبرتْ دمشقُ على النكال لياليا
حَرُمَ الرُقادُ بها على الأشفار
لهفي على المتخلفين برحبها
كيف القرارُ ولاتَ حينَ قرار
يترقّبون الموتَ في غدواتهم
وإذا نَجوْا فالموتُ في الاسحار
لا يعلمون : أفي سواد دُجُنّةٍ
هم سهّدٌ ، أم في بياض نهار
الوابلُ المِدْرارُ من حُمَمِ اللّظَى
متواصلٌ ، كالوابل المدرار
والظُلْم منطلق اليدين محكّمٌ
ياليتَ كلَّ الحَطْب حَطْبُ النار

أمجالسَ السُمّار ضاحكةً بهم
ضحكَ الهوى، ما حل بالسمار؟
أمعاهدَ الأدب الطريف نكهته
غضَّ الصبا كتفتّح الازهار
أمّ القصور نواعما ربّاتُها
ما للقصور دواثر الآثار؟
أمّ الجنان الكاسيات رياضُها
حُلَلَ السَّنا ما للرياض عواري؟
أمّ الحياة، وللحياة نعيمُها،
هل في ديارك بعدُ من ديّار
زهوُ الحضارة أنت مطلع شمسه
أفتفتدين وأنت دارُ بَوار؟

ويح الحضارةِ كيف يمتهن اممَها
متكالبون على الضعاف ضَواري
هم أوردوكِ وأصدروكِ على صَدىً
فشقيتِ فى الإِيراد والإِصدار
هم أحرجوكِ فأخرجوكِ مهيجةً
فصرختِ فيهم صرخةَ الجبَّار
طالت لياليكِ الثلاثُ ، وإنما
فى مثلهنَّ يلوحُ نهجُ السارى
واذا الظلام عنا تبلَّج فجرُهُ :
ظُلَمُ الحوادث مطلعُ الأنوار
ماانهارَ قصرٌ فى حماكِ ممرَّدٌ
إلا ليرفعَ فيك قصرَ فخار

ما دمّروكِ همُ ، ولكن دمّروا
ما كان فيكِ لهم من « استعمار »
حملوا عليكِ مُواثبينَ ومالهم
ثأرٌ ، وثرتِ وأنتِ ربّةُ ثار
ما ينقمون عليكِ إلا أنهم
شهدوكِ غير مَقودةٍ لصَغار
فإذا المنازلُ وهي شامخةُ الذرى
مُنهارُ أطلالٍ على مُنهار
وإذا المدينة « تدمُرٌ » أو « نينوى »
أقفارُ عُمران ورسمُ دَمار

* * *

قم سائل الاجيالَ يا ابنَ نسيجها
واستوحِ غامضَ سرِّها المتواري

فلعلَّ عبرة مجتلي صفحاتها
في ما محاهُ الدهرُ من أسطارِ

ان الشعوبَ لتستفيقُ إنِ انتشتْ
والصحوُ غاية نشوةِ الاسكار

أرأيتَ كيف طغى الفرنجُ وأوغروا
صدرَ الاسنّة أيّما إيغار؟

ارأيت كيف استهتروا بمطامعٍ
فيها المصارعُ ، أيّما استهتار؟

الشرقُ بين قويّهم وضعيفهم
متداول الانجاد والاغوار

و بنوه بين وَعيدهم ووُعودهم
شتّى المذاهب شُرَّدُ الافكار

لا تأمنَنَّ فأنت بين مكافح
منهم، وبين مخادعٍ غرارِ
وانظر الى الآلاف من بسلائهم
يغزوهمُ مائة من «الثوار»
من كل مغوارٍ صليبٍ عودُه
يقتادُ كلَّ مدججٍ مغوار
الواثبين إذا يقال «تأهبوا!»
والقاحمين إذا يقال «بدارِ!»
إن أنصفت أيامُ ذي قارٍ لنا
سكفاء فنحن اليوم في «ذي قار»
طارت بألباب الفرنجة صيحة
في الشام فاندفعوا الى الاسوار
واستهدفوا الاطفال في حجراتها
والمطفلات وهن في الاخدار

عموا بمضطرب القذائف كل ذي
ضعف ، وخصوا كل ذات إزار
ستروا بضرب الآمنين فرارهم
فاعجب لعار ستروه بعار !

* * *

غضبت لسورية الشهيدة أمة
في مصر تطفىء غلة الامصار
ورعت لها ذمم الوفاء ، فلم يضع
عهد تسلسل في دم الاعصار
لله والتاريخ والدم واللغى
حق ، وللآمال والاوطار
تأبى الجماعةُ أن تهون لغاصب
والفردُ موقوفٌ على الاقدار
وإذا العرى انفصمتْ تولّى أهلَها
ضيمُ المغير بخَطبه الكُبّار

يا ابن الكنانة ما الجراح دواميا

في الشام إلا في طلى الاحرار

المشترين ديارهم بدمارهم

وهم يرون به رباح الشاري

أنفوا حياة الشاء كل عشية

وضحى تعيش بها يد الجزار

هلا نظرت الى الشآم فانها

ترنو اليك بشاخص الابصار

ناءت بحمل نكوبها فتقلقلت

موجا باطفال هناك صغار

ليس الجوار اذا عدلت بمقنع

يأبى الشقيق عليك حق الجار

خير الدين الزركلي